الانتخابات النيابية ، وعطلت المجالس البلدية ، ولم تعد تنفع شتى اساليب شراء اصوات الناخبين ، بالمال وبالوعود بالوظائف وغيرها ، وبات اهل النظام يفتشون عن مختلف السبل لاسكات اصوات الجماهير ، تارة باختراع القوانين المتخلفة لتقييد النشاط السياسي، وطورا باستخدام الكثير من الاساليب البوليسية والمخابراتية والقمعية . أما على الصعيد الوطني ، فحدث ولا حرج، عن عمالة النظام اللبناني وتبعيته للامبريالية والصهيونية، يرفعه شعار « قوة لبنان بضعفه » ، ناهيك عن عمليات التضييق على المقاومةالفلسطينية ومحاولات تصفيتها ، وتخاذل النظام عن مواجهة الاعتداءات الصهيونية . حيث كانت تسرح وتمرح اليات العدو وجنوده في جنوب لبنان وتزرع طائراته القنابل والصواريخ في طول البلاد وعرضها .

■■ أزمة اليمين والوضع الثوري

ان ازمة النظام العامة ، العميقة والمتفاقمة ، واشتدادها في المرحلة الاخيرة، هي التي طرحت مسألة التغيير على بساط البحث ، وعلى كاهل قيادات الجماهير واحزابها ـ بصرف النظر عن مدى استيعاب الاحزاب لحدود التغيير المطلوب ، ولضرورة الثورة ـ ، وبالتالي فهي التي خلقت الوضع الثوري . واذا ما ادركنا تنامي الروح النضالية بين صفوف الجماهير عامة ، وفي مختلف القطاعات الانتاجية والتربوية وغيرها ، وما كنا نشهده من اضرابات للعمال والموظفين والحرفيين والطلاب ، وسائر النضالات المؤيدة للمقاومة الفلسطينية ولقضيتها ، اذا ما ادركنا كل ذلك ، فسندرك اسباب الهجوم الذي قام به اليمين الفاشي، وهو يبحث عن النجاة بتدابير فاشية لضرب المد التقدمي والوطني، اللبناني والفلسطيني، في وقت سدت فيه، في وجه هذا اليمين ، جميع امكانيات معالجة الازمات ، بالاساليب الشرعية والديمقراطية. ولادركنا ايضا ، سعي قوى اليمين الفاشي الى سبق تعاظم المد النضالي وامتداده في اوساط الجماهير ، والى سبق نمو حركة الكفاح ، بالعمل على سحق حركة النضال الوطني والاجتماعي وعن طريق الهجوم العسكري على القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية والفلسطينية .

ان الهجوم الفاشي قد شكل تحديا للجماهير ، وبالتالي حافزا لها لمزيد من النضال ، وضوءا كشف امامها حقيقة اهل النظام وطبيعتهم الاجرامية، ولكنه لا يشكل ، بحد ذاته ، ولا برد الفعل عليه ـ سواء نجح رد الفعل هذا ام لم ينجح ـ وضعا ثوريا . فالوضع الثوري يعود باصوله ، الى تفاقم التناقضات الطبقية في المجتمع ، لدرجة يضطر معها اهل النظام الى شن هجوم على الجماهير التي تمردت، وباتت تشكل بنضالها مصدر قلق مستمر ، يهدد النظام بالزوال التام ـ في حال وعي قيادة الجماهير ، لضرورة احداث ثورة ، وبناء مجتمع جديد ـ اما باحداث اصلاحات ، ليس بمقدور النظام تقديمها ، لبلوغه اعلى درجات تطوره ، وبحيث اصبح افق التطور مقفولا بوجهه ، ولا يمكن بلوغه الا بثورة . وهذا ما نشهده عندما تكون قيادات الجماهير متخلفة عن المرحلة التي يمر بها المجتمع . وهذه الحالة الثانية ، تنطبق الى حد بعيد على الوضع اللبناني في هذه الفترة .

فالوضع الثوري هو تلك الحالة التي يمر بها المجتمع ، بحيث لا يكون بوسع اهل النظام ان يحكموا بواسطة الاساليب «الديمقراطية» والشرعية في نظامهم ، وبحيث ترفض الجماهير الخضوع . ذلك هو الوضع الثوري ، حاكم لا يستطيع ان يحكم ، وجماهير ترفض الرضوخ . اما مسألة من ينظم الهجوم، اهل النظام الحاكمون، ام الجماهير، فتلك مسألة ثانية تتعلق بمدى وعي هذه الجماهير وتنظيمها وقيادتها ، ولكنها ليست ولن تكون هي التي خلقت ـ اي عملية الهجوم ـ الوضع الثوري ، او ان الوضع الثوري هو نتيجة لها . وهذه هي سمات الوضع الثوري : تناقضات متفاقمة ومستعصية الحل، لبلوغ النظام اعلى درجات تطوره وحاكم عاجز عن الحكم وجماهير ترفض الرضوخ . اما ما ينتج عن ذلك من تفجير للصراع ، وهجوم قد يقوم به اهل النظام ، او تقوم به الجماهير ، وتفتيت اجهزة القمع ، وسواء ذلك ، فليست من سمات الوضع الثوري كما يذكر كاتب المقالة عندما يقول : « **وكان من سماته ، يقصد الوضع الثوري ، البارزة تحطم اجهزة القمع ومؤسسات السلطة، وبالتالي ظهور استقطاب جماهيري واسع النطاق ضد وحشية الهجمة الفاشية** »، ان هذه الظواهر ليست سماتا من سمات الوضع الثوري ، ولكنها دلائل تشير الى ان التناقضات المتفاقمة، قد دفعت بالقوى المتصارعة في محاولات لحل هذه التناقضات .

على ان الكلام عن جذور واصول الوضع الثوري النابعة من درجة تطور المجتمع، ودرجة تطور التناقضات فيه ، لا ينفي دور القوى المتصارعة وامكان مساهمتها في انضاج الوضع الثوري . فكلما كانت قيادة الجماهير، واعية لطبيعة المرحلة التي يمر بها المجتمع ، ومدركة لاحتمالات التطور فيه ، كلما استطاعت هذه القيادة ان تسارع في انضاج الظرف الثوري. الا انه دور مختلف القوى يبقى دورا مساعدا ، اما الدور المحدد والذي على اساسه يمكن ان تثمر جهود المناضلين او الرجعيين فهو يبقى رهن بدرجة تطور التناقضات في العلاقات الاجتماعية وفيما بين الطبقات .

■■ علاقة احتدام الصراع بمستوى النضال

في السطر الاول من المقال يتحدث الكاتب عن «احتدام وجذرية الصراع» ، ويقول في السطر الثالث، ان «**احتدام وجذرية الصراع**» ، « **ليس امتدادا طبيعيا ومنطقيا لمستوى النضال ... الذي كانت تقوده احزاب وتنظيمات ...** »

من المعروف ، ان الصراع يستلزم ، حتى يصل الى درجة «الاحتدام» و«الجذرية» ، وجود طرفين متناقضين . وهما هنا ، القوى الفاشية وحلفائها محليا وعربيا ودوليا ، والجماهير الوطنية اللبنانية والفلسطينية . كما يستلزم ايضا درجة منظورة وملموسة من نضال الجماهير ، اجبرت الفاشيين على التخلي عن اساليب النظام الشرعية في قمع الجماهير، واضطرتهم الى الاعتماد على ادواتهم القمعية الخاصة، الميليشيات .

ان اعتبار الصراع قد وصل الى مرحلته المحتدمة والجذرية، لهو اقرار بان مستوى نضال الجماهير ، لا يستهان به، واقرار ايضا بان احتدام الصراع يرجع الى عدم رضوخ الجماهير وتمردها على رغبات الفاشيين واساليبهم . ولو افترضنا العكس اي لو افترضنا ان نضال الجماهير لم يكن ليزعج ، وليشكل خطرا يهدد مصالح الرجعية ، فلماذا تنبري الفاشية لمواجهة الجماهير وقمعها ؟

ولسنا ندري كيف يفسر الكاتب هذا التناقض الكائن بين ضرورة وجود حركة جماهيرية مناضلة ومكافحة ليحتدم الصراع وبين اعتباره ان « احتدام وجذرية الصراع» ليستا تتويجا لمستوى النضال .

مما لا شك فيه ، ان تغييب الكاتب للشروط المادية الكامنة في درجة تطور المجتمع وتفاقم التناقضات ، ولدورها في خلق الوضع الثوري ، واستبدال هذه الشروط ، ببعض الظواهر النابعة من نشوء وضع ثوري ، كنشاط ، الطبقات والكتل السياسية ، السافر ، هو الذي ادى به الى هذا التشوش والتخبط في الافكار .

وبين ان يكون الوضع وضعا ثوريا وبين ان تحسن شتى الاحزاب التي تقود نضال الجماهير ، الاستفادة منه ، فرق كبير . وذلك يرجع الى كون غالبية هذه الاحزاب ، التي تدفع ، من خلال قيادتها النضال ، لاجل احداث اصلاحات في النظام ، لم تضع في حساباتها ، ولم يكن واردا لديها ضرورة اسقاط النظام والقيام بالثورة . لذلك فهي تدفع بالتناقضات قدما الى الامام ولكنها تحجم وتتراجع عندما تتطلب الامور حسما نهائيا ، ولذلك فاننا نقر مع الكاتب بعدم وجود «هجوم سياسي منظم قامت به المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية ...» فلو انها هي التي قامت بالهجوم ، لكانت احسنت الاستفادة من الوضع الثوري، لا كما يحلو للكاتب ان يتصور ، اي تكون هي قد خلقت الوضع الثوري . من هنا ندرك ان مستوى الصراع قد اتى فعلا منطقيا ومنسجما مع

مستوى قيادة الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية لنضالات الجماهير . وطالما ان هذه القيادات هي قيادات اصلاحية ، كان من الطبيعي ان تكون الفاشية سباقة الى شن الهجوم، لانها اصبحت مضطرة الى حل التناقضات بميلها الموضوعي الى استخدام العنف الرجعي .

■■ تحول الوضع الثوري الى ثورة

في هذا المجال ، يعتبر الكاتب ان هناك شرطا واحدا فقط ليتحول الوضع الثوري الى ثورة ، وهو « سياسة القوى الثورية » كذلك فنجاح الثورة او فشلها يتوقف ، بتقديره ، على شرط واحد ، « الاستراتيجية الثورية » . فهو يقول : « **ان تحول اي وضع ثوري الى ثورة حقيقية مسألة مرهونة بنوع السياسة التي تنهجها القوى الثورية ، ومدى استجابتها النضاليه لمهام المرحلة السياسية المحددة ، والانتصار او الهزيمة يتقرران ايضا على ضوء توفر استراتيجية ثورية او عدم توفرها** » .

اما في الواقع ، فأن الشرط الاساسي لتحول الوضع الثوري الى ثورة ، يكمن في وعي الاحزاب ـ قائدة الجماهير ـ ان الوضع وضع ثوري ، وان الخروج من هذا الوضع لا يمكن الا بأسلوب الثورة بغية الاستيلاء على السلطة السياسية للشروع في اقامة مجتمع ونظام جديدين . اما اذا بقيت هذه الاحزاب تناضل من اجل اجراء الاصلاحات والتعديلات في النظام السياسي ـ كما هو الحال عندنا ـ فأن الوضع الثوري لا يمكنه ان يتحول الى ثورة ، وليس هذا فحسب بل سرعان ما تتبخر اوهام هذه الاحزاب الاصلاحية . اما اذا وعت قيادة الجماهير طبيعة الظرف الثوري الذي يمر به المجتمع ، وادركت ضرورة الشروع بالثورة ، فأن نجاح هذه الثورة ، لا يتوقف فقط على سياسة القوى القائدة واستراتيجيتها ، ذلك ان لجم هذه القوى ، ولعلاقاتها ببعضها البعض ـ مستوى التحالفات بين القوى ـ ولدرجة صلتها بالجماهير اثر كبير على مقدرتها في جعل القرارات التي تأخذها والمتعلقة بالخط السياسي ، قرارات تتبناها اوسع الجماهير . يقول لينين : « **فالنجاح يتوقف من جهة على صحة تقديرنا للموقف السياسي ، على صحة شعاراتنا التكتيكية ، ومن جهة اخرى على تأييد هذه الشعارات من جانب قوى الكفاح الفعلية ...** » . اذن لا يكفي ان يكون الخط السياسي سليما ، حتى يتحول الوضع الثوري الى ثورة ، ولا يكفي ان تكون الشعارات صحيحة حتى تنتصر الثورة . بل يفترض الى جانب ذلك ، وبنفس القدر من الاهمية ، ان يتحول الخط السياسي الصحيح ، والشعارات الصائبة ، الى قناعات عامة لدى غالبية الجماهير ، تحفزها وتدفعها للنضال ، وما يستلزمه ذلك من حجم للقوى القائدة يمكنها من الوصول الى اوسع الجماهير صاحبة المصلحة في الثورة . ولو كان النجاح او الاخفاق في الثورة يتوقف فقط على السياسة والشعارات التي يطرحها الحزب قائد الثورة ، فأننا لنتساءل : لماذا اخفقت ثورة ١٩٠٥ التي قادها حزب البلاشفة ؟ وهل كانت شعاراتها غير ثورية ؟

■■ كيف « كنس » الصراع الكثير من الاوهام ؟

ويتحدث كاتب المقال عن « **ارثا سياسيا وايديولوجيا ثقيلا يرزح تحت وطأته النضال الوطني والديمقراطي في لبنان** » . واذا كنا نوافقه الى حد بعيد حول كلامه هذا ، فأننا نستغرب ، كيف يقول : « **وقد كنس تطور الصراع نفسه في لبنان ، بكل قوة وسطوع الكثير من هذا الارث النظري واحدث حتى تغيير ما في الكتل والتيارات الاكثر تقدما في صفوف الاحزاب الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية** » .

ان يكون تطور الصراع في لبنان قد اثبت للمراقب السياسي مدى تخلف البرامج ، والمواجهة السياسية والعسكرية التي اتبعتها غالبية احزاب الحركة الوطنية اللبنانية والفلسطينية ، واكتشف فيها اوهاما لن تعود بالفائدة على الجماهير ، فذلك ، امر مقبول ومعقول . اما ان يكون تطور الصراع قد « كنس » و « بكل قوة وسطوع » ـ لاحظوا جيدا ، كنس بكل قوة وسطوع ـ الاوهام التي تعلقت بها الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية، واحدثت ايضا «حتى تغييرا ما في الكتل والتيارات الاكثر تقدما» ، ، فتلك مسائل ، نصيبها من الصحة والواقعية ضعيف جدا . فلو ان ما يقوله الكاتب صحيح ، اي لو ان هذه الاوهام قد سقطت فعلا و « بكل قوة وسطوع » ، فما معنى التراجعات والمساومات التي نشهدها في سلوك غالبية القيادات الاصلاحية للمقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ؟

فما هي هذه التغييرات التي حدثت في الكتل والتيارات الاكثر تقدما ؟ ولماذا لا يحدد الكاتب من هي الكتل التي اصابتها التغييرات ، وما هي حدودها ؟ فحتى الان لا تزال معظم احزاب وتجمعات الحركة الوطنية اللبنانية والفلسطينية تعمل على نقل الصراع من ميدانه العسكري العنيف الى الميدان السياسي الديمقراطي البرلماني ، ولا يزال المجلس السياسي للحركة الوطنية ، يعتبر « برنامج الاصلاح » اساسا سليما للنضال ، مع ان تطور الصراع قد تجاوزته منذ فترة طويلة ، حتى قيل انه يرى النور ، وهذه قيادة منظمة التحرير تسعى الى تقديم التنازل تلو الاخر ، وتحث الخطى بأتجاه جنيف ، لتوقيع صك الاعتراف بأسرائيل والتنازل عن فلسطين ... فأين « تكنيس » الاوهام ؟ واين التغييرات ؟

ان يكون الصراع قد « **كنس** » « **بكل قوة وسطوع** » **الكثير من هذه الاوهام** ، واحدث تغييرا في الكتل الاكثر تقدما ، ان يكون الصراع قد فعل كل ذلك ، فعلى الاقل يفترض ان يكون « تكنيس » **هذه الاوهام قد عبر عن نفسه بأنعكاسه على برامج هذه الكتل** ، وان يعبر عن نفسه بالتطورات التنظيمية التي يجب حدوثها داخل الاحزاب والكتل ، كحدوث التيارات المتعاكسة والمتناقضة والانشقاقات وغير ذلك ، وان يكون التغيير قد طال « التيارات الاكثر تقدما » ، فهذا يعني ان الاحزاب الشيوعية قد تعرضت لهذا التغيير ، في وقت تدلنا فيه القراءة العادية لمواقف وافكار هذه الاحزاب الاصلاحية منها والثورية ، على انها ما زالت محافظة على منطلقاتها الاساسية ولم تتعرض حتى الان الى تغييرات ما في بنيتها التنظيمية ، وطرحها السياسي . فأين هي التغييرات التي يراها الكاتب ، « بكل قوة وسطوع » ؟

لقد دأب الكاتب من اول مقاله الى اخره ، يتحدث عن احزاب الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية ، وادوارها ، بعمومية وشمولية افقدت كلامه الوضوح ، فبدل ان يحدد موقف هذا الحزب وذاك التيار ، ومدى تأثير هذه الكتلة او تلك بالتغييرا تالتي حدثنا عنها ، نراه يجنح نحو الكلام العام والشامل ، ليبتعد عن الحقيقة في مكان ، وليطمس دور بعض القوى في مكان ثان ، فهو يعتبر في بداية مقاله ، ان جميع القوى التي تقود النضال ، هي « **احزاب وتنظيمات البرجوازية الصغيرة بكافة تياراتها السياسية والراديكالية والوسطية واتجاهاتها الفكرية اليسارية والقومية** » . هكذا هنا لا فرق عنده فجميع هذه التنظيمات تتساوى من حيث انها تنظيمات واحزاب البرجوازية الصغيرة ، وحتى الاحزاب الشيوعية جميعها « برجوازية صغيرة » دونما ان يجد ضرورة للعناء في البحث عن اسباب تحديده لها كذلك (هكذا يتساوى عنده الحزب الشيوعي اللبناني ومنظمة العمل الشيوعي وحزب العمل الاشتراكي العربي واللجان الثورية بكونها كلها تنظيمات للبرجوازية الصغيرة ، صارفا النظر عن البحث فيما بين برامجها ونهجها من فوارق واتجاهات مختلفة) . وبعد ان يحدثنا الكاتب عن اوهام « التيارات البرجوازية الصغيرة القومية » يعود للكلام عن « الاحزاب والتنظيمات اليسارية الاخرى » والتي « لم تطرح في استراتيجيتها مسألة الاستيلاء على السلطة » فما المقصود « بالتنظيمات اليسارية الاخرى » ؟ كما ان الحديث عن تنظيمات يسارية . فما هو اليسار ؟ وماذا تعني صفة « يساري » ؟ وهل المقصود بالتنظيمات اليسارية الاخرى ، الاحزاب الشيوعية مضافا اليها « الحزب التقدمي الاشتراكي » ؟ واذا كان الامر كذلك ، فكيف يصح وضع جميع هذه